

الإرشاد الأسري في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام): إعادة إحياء منهجية الأئمة كاصوب الحلول في ضوء العلم الحديث

الشيخ حسين محسن التميمي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة العباسية المقدسة

Family Guidance in the Holy Quran and the Thought of the Ahlul Bayt (peace be upon them): Reviving the Methodology of the Imams as the Most Correct Solution in Light of Modern Science

Sheikh Hussein Mohsen Al-Tamimi

Intellectual and Cultural Affairs Department / Al-Abbas's Holy Shrine

husaan1788@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث استكشاف منهجية الإرشاد الأسري المستنبطة من القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام) وإعادة إحيائها كحلول فعالة في مواجهة التحديات الأسرية المعاصرة، يتناول البحث كيف أن التعاليم الإسلامية تبرز كقواعد أساسية للإرشاد الأسري، ويدرس التوافق بينها وبين أساليب الإرشاد النفسي الحديثة، مما يدعم فعاليتها ونجاحها في تعزيز الصحة النفسية والاستقرار الأسري. الكلمات المفتاحية: الإرشاد الأسري - القرآن الكريم - فكر أهل البيت (عليهم السلام) - منهجية الأئمة - العلم الحديث.

Abstract:

This research explores the family counseling methodology derived from the Holy Quran and the thought of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) and revives it as effective solutions to confront contemporary family challenges. The research discusses how Islamic teachings emerge as basic rules for family counseling, and studies the compatibility between them and modern psychological counseling methods, which supports their effectiveness and success in promoting psychological health and family stability.

Keywords: Family Guidance - The Holy Quran - The Thought of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) - The Methodology of the Imams - Modern Science.

بيان البحث

يبين البحث موضوع الإرشاد الأسري من منظور إسلامي من خلال تحليل المفاهيم والمبادئ الواردة في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، سيقوم البحث بإعادة تقييم هذه المفاهيم في ضوء ما

توصلت إليه العلوم النفسية والاجتماعية الحديثة، مع التركيز على دورها في تحسين العلاقات الأسرية وتعزيز الاستقرار النفسي، سيتم استخدام أسلوب موضوعي، يستند إلى الأدلة الشرعية والبحوث العلمية المعاصرة. أهداف البحث :

١. تسليط الضوء على المبادئ الأساسية للإرشاد الأسري في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام): تحليل كيفية معالجة النصوص الدينية لمختلف جوانب الحياة الأسرية.
٢. مقارنة منهجيات الإرشاد الأسري الإسلامية مع النماذج الحديثة: دراسة نقاط القوة والضعف في كل منهج والتأكيد على كيفية تكاملها.
٣. إعادة إحياء منهجية الأئمة (عليهم السلام): توضيح كيف أن هذه المنهجية يمكن أن تقدم حلولاً فعالة للمشكلات الأسرية المعاصرة.
٤. توجيه الباحثين والممارسين في مجالات الإرشاد الأسري: توفير رؤية قائمة على الأدلة حول أهمية الاعتماد على المنهج الإسلامي في الإرشاد.

النتائج المتوقعة

١. تأكيد فعالية المبادئ القرآنية: يتوقع أن يثبت البحث فعالية المبادئ المتعلقة بالإرشاد الأسري الموجودة في القرآن الكريم كأدوات قوية للتعامل مع التحديات الأسرية الحديثة.
٢. توافق المنهجيات: من المتوقع أن يظهر البحث كيفية توافق منهجيات أهل البيت (عليهم السلام) مع أساليب الإرشاد الأسري الحديثة، مما يساهم في تعزيز صحتها وموثوقيتها.
٣. إعادة إحياء المنهجيات : يتوقع أن يساهم البحث في إحياء منهجيات الأئمة كحلول أصوب، مما يعزز من الاعتراف بها في المجال العلمي الإرشادي المعاصر.
٤. تطوير نماذج إرشادية جديدة: من المتوقع أن يوفر البحث نماذج إرشادية مبتكرة تجمع بين التعاليم الإسلامية وأساليب العلاج النفسي الحديث، مما يساهم في تحسين النتائج الأسرية.

المقدمة:

إنَّ الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني، وهي المؤسسة الأولى التي تُرسخ القيم والمبادئ التي تؤسس لشخصية الفرد، ولقد حظيت الأسرة في الإسلام بعناية فائقة، حيث خصَّ القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) جوانبها المختلفة بالتوجيه والإرشاد، مما يعكس مكانتها المحورية في تكوين الفرد والمجتمع. ومع تطور الحياة المعاصرة وما فرضته التحديات

الجديدة من تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية، برزت الحاجة إلى إعادة قراءة النصوص الدينية ذات الصلة بالإرشاد الأسري وربطها بالعلوم الحديثة لتقديم حلول أكثر انسجامًا مع الواقع.

لقد أصبحت الأسرة اليوم تواجه أزمات متعددة تتعلق بالتفكك الأسري، والتحديات التربوية، وضعف التواصل بين أفرادها. وقد أثرت العولمة والتكنولوجيا الحديثة في طبيعة العلاقات الأسرية، مما أدى إلى تغييرات جذرية تستدعي حلولاً مستحدثة وفعالة. ورغم التطور الهائل في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصة علم النفس والإرشاد الأسري، إلا أن هذه الحلول المستوردة كثيرًا ما تفنقر إلى الانسجام مع هوية المجتمع الإسلامي وثقافته الروحية، وهو ما يجعل من الضروري العودة إلى القيم القرآنية وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) لاستلهاام منهجيات راسخة تتسم بالشمولية والمرونة.

في هذا السياق، يبرز الإرشاد الأسري الإسلامي كنموذج أصيل يتمتع بقدرة فريدة على التعامل مع المشكلات الأسرية بطرق متكاملة تجمع بين الروحانية والعلمية. فالقرآن الكريم يقدم إرشادات دقيقة لإدارة العلاقات الأسرية، مثل حسن المعاشرة، والتوازن بين الحقوق والواجبات، والتربية باللين والحكمة. وفي الوقت ذاته، يُظهر فكر أهل البيت (عليهم السلام) تفاصيل عملية لهذه الإرشادات، من خلال مواقفهم العملية وحلولهم لمشكلات أسرية معقدة، تجعلهم قدوة يمكن الاسترشاد بها في كل زمان ومكان.

ومع التطورات العلمية الحديثة، أصبح بالإمكان دمج منهجيات الإرشاد الأسري الإسلامي مع النظريات العلمية المعاصرة لتقديم حلول عملية أكثر فاعلية. فالإسلام لا يرفض العلم الحديث، بل يشجع على الاستفادة منه ضمن إطار يخدم القيم الإسلامية. ومن هنا جاءت الحاجة إلى هذا البحث الذي يسعى إلى إعادة إحياء منهجية الأئمة (عليهم السلام) كأصوب الحلول للتحديات الأسرية، مع الاستفادة من معطيات العلم الحديث، لتقديم نموذج إرشادي يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

إن هذا البحث يسعى للإجابة على سؤال محوري: كيف يمكن إعادة تفعيل منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري لتقديم حلول ناجعة لتلائم التحديات المعاصرة؟ وينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن منهجية الأئمة (عليهم السلام) تمثل نموذجًا رائدًا يمكنه تقديم حلول تكاملية للمشكلات الأسرية في ضوء العلم الحديث.

يهدف البحث إلى تحليل المفاهيم القرآنية المتعلقة بالإرشاد الأسري، واستقراء منهج أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال، مع عقد مقارنة علمية بين الفكر الإسلامي ونظريات الإرشاد الأسري الحديثة.

ويطمح إلى اقتراح نموذج تكاملي يحقق التوازن بين الجوانب الروحية والعلمية، مما يعزز استقرار الأسرة ويقوي روابطها.

وفي ضوء هذا الإطار، فإن أهمية هذا البحث تتجلى في كونه يسعى لتقديم إضافة نوعية تجمع بين التراث الإسلامي واحتياجات العصر الحديث، ليكون مرجعاً قيماً للعاملين في مجال الإرشاد الأسري، وكذلك للأسر الباحثة عن حلول مستدامة لمشكلاتها.

بيان موضوع البحث:

يتناول البحث موضوع الإرشاد الأسري من خلال دراسة الآيات القرآنية وتوجيهات أهل البيت (عليهم السلام) المتعلقة بتنظيم العلاقات الأسرية، وتعزيز القيم الأخلاقية، ومعالجة المشكلات الأسرية. كما يهدف إلى إبراز منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري كحلول متكاملة، وربط هذه المنهجية بالعلوم الحديثة لتحقيق فهم أعمق وفعالية أكبر.

أهمية البحث:

١. أكاديمية: سد الفجوة بين التراث الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام) وبين العلم الحديث في مجال الإرشاد الأسري.
 ٢. عملية: تقديم حلول عملية مبنية على أسس شرعية وعلمية لمعالجة التحديات التي تواجه الأسر في العصر الحديث.
 ٣. إحياء التراث: تسليط الضوء على منهج الأئمة (عليهم السلام) وإبرازه كمنهج صالح لكل زمان ومكان.
- أهداف البحث:

١. تحليل وتوضيح المفاهيم القرآنية المرتبطة بالإرشاد الأسري.
 ٢. دراسة منهج أهل البيت (عليهم السلام) في معالجة المشكلات الأسرية.
 ٣. مقارنة الإرشاد الأسري الإسلامي مع النظريات الحديثة في الإرشاد الأسري.
 ٤. اقتراح نموذج تكاملي يجمع بين تعاليم الإسلام والعلم الحديث للإرشاد الأسري.
- منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم استقراء النصوص القرآنية وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ذات الصلة، ثم تحليلها ومقارنتها بالنظريات العلمية الحديثة. كما سيتم استخدام المنهج الاستقرائي لدراسة الحالات التطبيقية.

أسئلة البحث:

السؤال الأصلي: كيف يمكن تفعيل منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري كحلول ناجعة وفق معطيات العلم الحديث؟
الأسئلة الفرعية:

١. ما هي المفاهيم القرآنية المتعلقة بالإرشاد الأسري؟
 ٢. كيف عالج أهل البيت (عليهم السلام) المشكلات الأسرية في زمنهم؟
 ٣. ما مدى توافق منهجية أهل البيت (عليهم السلام) مع أسس الإرشاد الأسري الحديث؟
 ٤. ما هي آليات الاستفادة من الفكر الإسلامي في تقديم حلول للتحديات الأسرية المعاصرة؟
- فرضيات البحث:

١. يوجد تطابق كبير بين الإرشادات الأسرية في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام) ومبادئ الإرشاد الأسري الحديث.
٢. يمكن تطبيق منهج الأئمة (عليهم السلام) لمعالجة المشكلات الأسرية المعاصرة بفعالية.
٣. إحياء منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري يعزز التماسك الأسري في المجتمعات الإسلامية.

السابقة الدراسية للبحث:

١. دراسة تحليلية عن الإرشاد الأسري في القرآن الكريم.
٢. أبحاث تناولت منهج أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الأسرة.
٣. دراسات مقارنة بين الفكر الإسلامي والنظريات الغربية في الإرشاد الأسري.
٤. استعراض أبحاث حديثة حول التطبيقات العملية للإرشاد الأسري في ضوء تعاليم الإسلام.

الإضافة الجديدة للبحث:

الربط المباشر بين منهج الأئمة (عليهم السلام) والإرشاد الأسري الحديث بشكل تطبيقي وعلمي، مع التركيز على الابتكار في تقديم حلول عملية وعصرية.
التمهيد

إن الحديث عن الإرشاد الأسري في الإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكانة التي أولتها الشريعة الإسلامية للأسرة، حيث تُعدُّ الأسرة حجر الأساس في بناء المجتمع الإسلامي القوي والتماسك. فمنذ اللحظة التي أسس

فيها الإسلام أولى لبنات المجتمع، كان للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دور محوري في وضع منهجيات متكاملة لإدارة العلاقات الأسرية، بما يضمن تعزيز القيم الأخلاقية، وتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، وترسيخ أسس المحبة والتفاهم بين أفراد الأسرة.

ومع تطور الزمن وظهور التحديات المعاصرة، تغيرت طبيعة العلاقات داخل الأسرة بفعل عوامل متعددة، أبرزها التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فضلاً عن التأثيرات التقنية التي أعادت تشكيل مفهوم التواصل الأسري. هذه التغيرات أدت إلى بروز مشكلات جديدة، كضعف الروابط الأسرية، وزيادة نسب التفكك الأسري، وظهور أزمات تربوية معقدة. وفي ظل هذه التحديات، بات من الضروري العودة إلى التراث الإسلامي، وبخاصة منهجية أهل البيت (عليهم السلام)، لاستلهاام حلول شاملة ومتكاملة تتبع من روح الإسلام وتعاليمه السامية.

تمثل الإرشادات الأسرية في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام) منهجاً فريداً يجمع بين المبادئ الإيمانية والأخلاقية وبين التوجيهات العملية التي تراعي خصوصيات كل زمان ومكان، وقد أثبت هذا المنهج فاعليته في معالجة المشكلات الأسرية، ليس فقط في زمن الأئمة (عليهم السلام)، بل في مختلف العصور، لأنه ينبع من تعاليم إلهية تضع الإنسان في مركز الاهتمام. ومع ذلك، فإن هذا المنهج لم ينل ما يستحقه من الدراسة والبحث خاصة في سياق ربطه بمتطلبات العصر الحديث ومعطيات العلوم الإنسانية.

في الوقت ذاته، شهدت العقود الأخيرة تطوراً ملحوظاً في مجال الإرشاد الأسري الحديث، الذي اعتمد على أسس علمية مستمدة من علم النفس والاجتماع والتربية، ورغم ما حققته هذه النظريات من نجاحات، إلا أنها في كثير من الأحيان تقتصر على البعد الروحي الذي يعالج الإنسان بصفته كياناً متكاملًا جسدياً وروحياً، من هنا تظهر الحاجة إلى إعادة قراءة منهجية الأئمة (عليهم السلام) للإرشاد الأسري وربطها بالعلوم الحديثة، مما يسهم في تقديم حلول عملية وشاملة لمشكلات الأسرة في العصر الحديث.

هذا التمهيد يقودنا إلى التساؤل: كيف يمكن استلهاام منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري لتقديم حلول ناجعة للتحديات المعاصرة، مع الحفاظ على روح الأصالة الإسلامية والاستفادة من العلوم الحديثة؟ هذا التساؤل يمثل نقطة الانطلاق لهذا البحث، الذي يسعى إلى بناء نموذج تكاملي للإرشاد الأسري، يمزج بين القيم الإسلامية ومعطيات العلم الحديث لتحقيق الاستقرار والتماسك الأسري.

المبحث الأول

المطلب الأول: الإرشاد الأسري في القرآن الكريم

إن الإرشاد الأسري في القرآن الكريم يمثل أحد المحاور الأساسية التي تُظهر اهتمام الإسلام العميق بتنظيم العلاقات الأسرية ورعاية شؤونها، حيث تعد الأسرة الركيزة الأولى لبناء المجتمعات الإنسانية المستقرة. وقد أولاهما القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا، فتناول مختلف جوانب الحياة الأسرية، من تأسيسها على قواعد متينة من المحبة والاحترام، إلى تنظيم العلاقات بين أفرادها، وتوضيح الحقوق والواجبات المترتبة على كل طرف، الأسرة في الإسلام ليست مجرد إطار اجتماعي للعيش، بل هي مؤسسة أخلاقية وروحية تساهم في بناء الإنسان الصالح الذي يؤدي دوره في عمارة الأرض وتحقيق الخلافة الإلهية.

إن الإرشاد الأسري كما يتجلى في القرآن الكريم، يُعنى بتوجيه أفراد الأسرة نحو تحقيق حياة أسرية مستقرة تسودها المودة والرحمة، وقد وضع القرآن الكريم قواعد عامة لتنظيم الأسرة، معتمدًا على مبادئ إلهية شاملة تتسم بالمرونة والتكامل، مما يجعلها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، ومن أهم هذه المبادئ: المودة والرحمة بين الزوجين، التفاهم وحسن المعاشرة، العدل والمساواة بين أفراد الأسرة، وتحمل المسؤولية المشتركة في التربية ورعاية الأبناء، هذه المبادئ تمثل أساسًا لبناء أسرة متماسكة تقوم بدورها في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، حيث يشدد الإسلام على أن استقرار الأسرة هو مفتاح استقرار المجتمع.

كما يُظهر القرآن الكريم اهتمامًا خاصًا بتعزيز الروابط بين أفراد الأسرة، حيث دعا إلى بناء العلاقة بين الزوجين على المحبة والتقدير المتبادل، كما في قوله تعالى: "وجعل بينكم مودة ورحمة"^١. وتتمثل هذه المودة في تبادل المشاعر الإيجابية، وتقديم الدعم العاطفي والمعنوي بين الزوجين، مما يساهم في بناء علاقة قوية ومستدامة. أما الرحمة، فهي العنصر الذي يضمن استمرار هذه العلاقة حتى في أوقات الشدة والصعوبات، إذ يدعو الإسلام الزوجين إلى التراحم والتغاضي عن الأخطاء الصغيرة للحفاظ على وحدة الأسرة.

وفيما يخص العلاقة بين الآباء والأبناء، فقد شدد القرآن الكريم على أهمية التربية السليمة التي تعتمد على غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس الأبناء، كما في قوله تعالى: "قوا أنفسكم وأهليكم نارًا"^٢، الذي يعكس مسؤولية الآباء في حماية أبنائهم من الانحراف والضياح من خلال التربية الواعية. كما دعا القرآن الأبناء إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، حيث يقول الله تعالى: "وبالوالدين إحسانًا"، مما يرسخ فكرة أن العلاقة بين الأجيال في الإسلام تقوم على الاحترام المتبادل والعطاء المستمر.

لم يقتصر الإرشاد الأسري في القرآن الكريم على العلاقة بين أفراد الأسرة الصغيرة، بل امتد ليشمل العائلة الكبيرة والأقارب، حيث شدد على أهمية صلة الرحم، وحذر من قطعها، كما في قوله تعالى: "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام"^٣. ويظهر هذا التشريع أن الإسلام ينظر إلى الأسرة كوحدة ممتدة تعزز التكافل الاجتماعي والتواصل الإنساني بين أفراد المجتمع.

من جهة أخرى، تناول القرآن الكريم الحلول العملية لمشكلات الأسرة، حيث وضع منهجية دقيقة لمعالجة النزاعات الأسرية بطرق سلمية وفعالة. ففي حال وقوع خلاف بين الزوجين، دعا القرآن إلى اتخاذ خطوات تصالحية تبدأ بالموعظة الحسنة، ثم الهجر في المضجع، وصولاً إلى التحكيم بينهما كما في قوله تعالى: "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما". وهذا يعكس حرص الإسلام على حماية الأسرة من التفكك والبحث عن الحلول التي تحافظ على كيانها.

أما في الجوانب المالية، فقد أكد القرآن الكريم على أهمية الإدارة الحكيمة لشؤون الأسرة المادية، داعياً إلى الاعتدال والوسطية بين البخل والتبذير، كما في قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط"^٤، مما يبرز دور التخطيط المالي في تحقيق الاستقرار الأسري.

يتضح من استعراض هذه الجوانب أن الإرشاد الأسري في القرآن الكريم ليس مجرد نصوص توجيهية، بل هو نظام شامل يهدف إلى تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، وتعزيز قيم المحبة والاحترام، مما يجعل الأسرة مؤسسة قادرة على مواجهة التحديات وتحقيق رسالتها في بناء المجتمع.

ولاً: تعريف الإرشاد الأسري ومبادئه في القرآن:

يشير التوجيه الأسري إلى أنه مصطلح شامل يضم مجموعة متنوعة من النهج والتقنيات التي تُعتمد عند التعامل مع العائلات التي تواجه تحديات عضوية وعقلية واجتماعية.

الإرشاد الأسري: (هو عبارة عن مجموعة من الخدمات النفسية والاجتماعية التي تهدف إلى تحسين العلاقات الأسرية وتوفير الدعم النفسي والاجتماعي للأسرة، وذلك عن طريق توجيه الأسرة للتعامل مع المشكلات والصعوبات التي تواجههم ويعتبر الإرشاد الأسري من التخصصات الدقيقة والمعروفة)^٥.

والإرشاد الأسري: هو مفهوم متعدد الأبعاد يجمع بين الجوانب اللغوية والاصطلاحية والدينية لتقديم رؤية شاملة حول كيفية توجيه الأسرة وتنظيم حياتها بما يحقق الاستقرار والتوازن، من الناحية اللغوية، فإن كلمة "إرشاد" مشتقة من الجذر "رشد"، الذي يعني الهداية والدلالة إلى الطريق الصحيح، كما يفهم منها التوجيه نحو الخير والصلاح، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: "وأرشدنا إليه"،

بمعنى هدايتنا إلى السبيل القويم أما كلمة "أسري"، فهي نسبة إلى الأسرة، التي تعني في اللغة الجماعة التي يربطها رابط مشترك، غالبًا ما يشير إلى العلاقات العائلية. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم الإرشاد الأسري لغويًا بأنه توجيه الأسرة نحو المسار السليم لتحقيق أهدافها الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية.

أما من الناحية الاصطلاحية فهو متقارب مع التعاريف الأخرى، فالإرشاد الأسري يشير إلى مجموعة من العمليات التربوية والتوجيهية التي تهدف إلى تحقيق الانسجام والتفاهم بين أفراد الأسرة، وحل المشكلات التي قد تعترض حياتهم اليومية، بناءً على مبادئ وقيم مستمدة من الدين والأخلاق والفطرة الإنسانية، وقد تطور مفهوم الإرشاد الأسري ليشمل أيضًا تطبيقات حديثة مستمدة من علم النفس والاجتماع، مما يعزز دور الأسرة كمؤسسة تربوية وروحية تسهم في بناء أفراد صالحين ومجتمع متماسك في السياق الإسلامي، يأخذ الإرشاد الأسري طابعًا أكثر شمولية وعمقًا، حيث يرتبط بشكل وثيق بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويستند إلى مبادئ روحية وأخلاقية تهدف إلى تحقيق السكينة والرحمة داخل الأسرة.

مبادئ الإرشاد الأسري في القرآن الكريم تُعتبر الأساس الذي يقوم عليه هذا المفهوم، وهي تشكل مجموعة من القواعد والقيم التي توجه الأسرة نحو حياة مستقرة ومتوازنة. من أبرز هذه المبادئ مبدأ "المودة والرحمة"، الذي يعد حجر الزاوية في العلاقة الزوجية، كما في قوله تعالى: "وجعل بينكم مودة ورحمة"، فالمودة تمثل العلاقة العاطفية التي تربط الزوجين، بينما تعكس الرحمة ضرورة التراحم والتعاون بينهما لمواجهة تحديات الحياة. كذلك مبدأ "العدل والمساواة"، الذي يظهر في تنظيم العلاقة بين أفراد الأسرة وضمان توزيع الحقوق والواجبات بينهم بشكل عادل، كما في قوله تعالى: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل".

إضافة إلى ذلك، يؤكد القرآن الكريم على مبدأ "تحمل المسؤولية"، حيث يجعل كل فرد في الأسرة مسؤولاً عن دوره وواجباته. فالآباء مسؤولون عن تربية الأبناء تربية صالحة، كما في قوله تعالى: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها"، والأبناء ملزمون ببر الوالدين والإحسان إليهم، كما في قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا" ومن المبادئ الأخرى، مبدأ "التربية الإيمانية"، الذي يشير إلى ضرورة غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس الأبناء، مما يضمن بناء جيل واعٍ قادر على تحمل المسؤولية وبناء مستقبل مشرق.

يتضح من هذه التعريفات والمبادئ أن الإرشاد الأسري في القرآن الكريم ليس مجرد توجيه نظري، بل هو منظومة عملية متكاملة تهدف إلى تحقيق الاستقرار الأسري وتعزيز القيم الإيجابية داخل المجتمع.

ثانيًا: دراسة الآيات القرآنية التي تعالج العلاقات الأسرية:

القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي وضع دستوراً شاملاً للحياة الإنسانية، ومن أهم جوانب هذا الدستور تلك التي تتعلق بتنظيم العلاقات الأسرية، الأسرة في الإسلام هي اللبنة الأولى لبناء مجتمع صالح ومستقر، ولهذا خصص القرآن الكريم العديد من الآيات التي توضح المبادئ التي يجب أن تسود العلاقات بين أفراد الأسرة، بهدف تحقيق السكينة والطمأنينة داخلها. تناولت هذه الآيات جوانب متنوعة من العلاقات الأسرية، مثل العلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأبناء، وكذلك العلاقات مع الأقارب وصلة الرحم.

من أبرز الآيات التي تناولت العلاقة بين الزوجين، قوله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"^٦، هذه الآية الكريمة تبرز الهدف الأسمى للعلاقة الزوجية، وهو تحقيق السكن النفسي والعاطفي بين الزوجين، فالعلاقة بين الزوجين ليست مجرد شراكة مادية، بل هي علاقة روحية قائمة على المودة، التي تعبر عن الحب والتقدير المتبادل، والرحمة التي تضمن التراحم والتفاهم بين الزوجين في كل الظروف، كما تشير الآية إلى أن هذه العلاقة ليست محض اختيار بشري، بل هي آية من آيات الله التي تعكس عظمته وحكمته في تنظيم حياة الإنسان.

وفي إطار توضيح كيفية التعامل بين الزوجين، جاءت الآيات التي تدعو إلى المعاشرة بالمعروف، مثل قوله تعالى: "وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً"^٧. هذه الآية تعكس القيم الأخلاقية التي يجب أن تسود في الحياة الزوجية، حتى في حالات الاختلاف أو الخلاف، فالمعاشرة بالمعروف تشمل الكلمة الطيبة، والتعامل الحسن، والتسامح، والحرص على تجنب الإساءة اللفظية أو الجسدية، كما تدعو الآية إلى التفكير الإيجابي في المواقف التي قد يعتريها التوتر، مشيرة إلى أن الله قد يجعل الخير في أمور يراها الإنسان في البداية على خلاف رغبته.

أما العلاقة بين الآباء والأبناء، فقد أولى القرآن الكريم أهمية كبرى لهذه العلاقة، حيث ركز على ضرورة بر الوالدين والإحسان إليهما، كما في قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً"^٨. هذه الآية تربط بين توحيد الله وبر الوالدين، مما يدل على عظمة مكانة الوالدين في الإسلام وبر الوالدين لا يقتصر على الطاعة فقط، بل يشمل أيضاً الإحسان إليهما بالكلام الطيب، وتلبية احتياجاتهما، ورعايتهما في الكبر. وفي المقابل، تناول القرآن الكريم واجبات الآباء تجاه الأبناء، حيث دعا إلى تربيتهم تربية صالحة، كما في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"^٩. هذه الآية تأمر الآباء بتحسين أبنائهم من الفتن والضلال، من خلال تعليمهم الدين والأخلاق، وغرس القيم الصالحة في نفوسهم.

كما عالج القرآن الكريم العلاقة بين الأخوة، وهي من العلاقات التي تسهم في بناء التماسك الأسري. ففي قصة النبي يوسف (عليه السلام)، يظهر القرآن كيف يمكن للعلاقة بين الأخوة أن تتعرض للتحديات بسبب الغيرة والحسد ومع ذلك، يدعو القرآن إلى تجاوز هذه الخلافات وإعادة بناء العلاقات على أسس المحبة والمغفرة، كما في قول يوسف لإخوته: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"^{١٠}.

إضافة إلى ذلك، تناول القرآن الكريم صلة الرحم كجزء أساسي من العلاقات الأسرية، وحث على الحفاظ عليها وتعزيزها، كما في قوله تعالى: "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام"^{١١}.

صلة الرحم تعني التواصل المستمر مع الأقارب، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم عند الحاجة، وهو ما يعزز روح التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

علاوة على ذلك، لم يغفل القرآن الكريم عن تقديم الحلول العملية للنزاعات الأسرية، حيث وضع آليات محددة لحل الخلافات بين الزوجين، مثل قوله تعالى: "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما"^{١٢}.

هذه الآية توضح دور التحكيم في حل المشكلات الزوجية، وتشير إلى أهمية النوايا الصادقة والرغبة الحقيقية في الإصلاح لتحقيق نتائج إيجابية.

وأخيراً، تناول القرآن الكريم أهمية التوازن في الإنفاق داخل الأسرة، حيث دعا إلى الوسطية وتجنب الإسراف أو التقصير، كما في قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً"^{١٣}. الإدارة المالية الحكيمة تضمن استقرار الأسرة مادياً ومعنوياً، وتسهم في تجنب المشكلات التي قد تنشأ عن الإفراط أو التفريط.

من خلال هذه الآيات وغيرها، يظهر أن القرآن الكريم قدّم منهجاً متكاملًا وشاملاً لتنظيم العلاقات الأسرية، حيث لم يكتفِ بتحديد الحقوق والواجبات، بل وضع أسساً أخلاقية وروحية تضمن استقرار الأسرة وسعادتها، مما يجعلها قادرة على أداء دورها في بناء مجتمع إسلامي قوي ومتماسك.

المطلب الثاني:

أولاً: دور الأئمة (عليهم السلام) في تقديم حلول للمشكلات الأسرية:

لقد لعب الأئمة (عليهم السلام) دوراً مهماً في تقديم حلول عملية للمشكلات الأسرية التي قد تواجه أفراد المجتمع، مستفيدين من تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) في معالجة هذه القضايا منها هذا الحديث: (وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ، وَارْحَمُوا صِغَارَكُمْ)^{١٤}

كان الأئمة (عليهم السلام) يقدمون نماذج عملية في التعامل مع المشكلات الأسرية، بدءاً من حل النزاعات بين الزوجين وانتهاءً بتوجيه الأبناء نحو القيم الأخلاقية والشرعية.

أحد أوجه الحلول التي قدمها الأئمة (عليهم السلام) في هذا السياق هو التأكيد على أهمية الحوار والتفاهم بين الزوجين، فقد بينوا أن الاستماع إلى الآخر والتفاهم حول مشاعر الطرف الآخر هو السبيل الأمثل لحل أي نزاع عائلي على سبيل المثال، كان الإمام علي (عليه السلام) يوصي بالتحلي بالصبر والحكمة في التعامل مع المشكلات الزوجية، مؤكداً على ضرورة تجنب التسرع في اتخاذ القرارات التي قد تزيد من تعقيد الموقف.

كما تناول الأئمة (عليهم السلام) موضوع التربية الأسرية، حيث أشاروا إلى أهمية تربية الأبناء على قيم الأخلاق والدين منذ الصغر، مما يساهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على التعامل مع تحديات الحياة. على سبيل المثال، كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) يُرشد في دعاء السحر إلى الدعاء من أجل صلاح الأسرة وحمايتها من الفتن، معتبراً أن الدعاء هو أحد الطرق التي يمكن بها توجيه الأسرة نحو الحياة الطيبة والمتوازنة.

(وَأَمَّا حَقَّ وَلَدِكَ، فَتَعَلَّمْ أَنَّهُ مِنْكَ، وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وَلَّيْتَهُ، مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ، وَالِدَلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ، وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فَيْكَ، وَفِي نَفْسِهِ، فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقِبٌ. فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ بِحَسَنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، الْمَعْدَّرُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحَسَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ، وَالْأَخْذُ لَهُ مِنْهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)^{١٥}.

وفي حالة الخلافات العائلية التي قد تصل إلى درجة التفكك، كان الأئمة (عليهم السلام) يقدمون حلولاً عملية مثل الوساطة بين الأطراف المتنازعة والتوجيه نحو التسامح والتصالح، كما أكد الأئمة على أن التواصل المستمر والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة هو الأساس في بناء أسرة سليمة وقوية. من خلال هذه المبادئ والتوجيهات، قدّم الأئمة (عليهم السلام) نموذجاً في كيفية معالجة المشكلات الأسرية وتقديم حلول فاعلة تضمن استقرار الأسرة وتعزز من قيم التعاون والعدالة.

ثانياً: دراسة نماذج عملية من حياة الأئمة (عليهم السلام):

تعد حياة الأئمة (عليهم السلام) مصدراً غنياً من الدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها في فهم كيفية معالجة المشكلات الأسرية وتقديم حلول عملية لها، فقد تجسد في سلوك الأئمة (عليهم السلام) نموذج حي في كيفية تعاملهم مع أفراد أسرهم، مما يقدم إشارات واضحة على أسس العيش المشترك السليم داخل الأسرة،

فيما يلي نستعرض بعضاً من هذه النماذج العملية التي تكشف عن منهج الأئمة (عليهم السلام) في إدارة العلاقات الأسرية وحل المشكلات:

١. الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتعامل مع الزوجة: كان الإمام علي (عليه السلام) نموذجاً في التعاطي مع زوجته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، حيث تجسد في علاقتهما احترام متبادل وفهم عميق لحقوق كل طرف، على الرغم من كثرة المسؤوليات التي كانت على عاتقه كإمام وقائد، إلا أن الإمام علي السلام كان حريصاً على أن يكون في البيت محباً ورحيماً، وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام)، قوله: « بحسن العشرة تدوم المودة »^{١٦}، مما يعكس التوجيه الإسلامي لأهمية الرفق بالنساء داخل الأسرة.

٢. الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) في حل النزاعات: يعتبر الإمام الحسن (عليه السلام) مثلاً آخر على الحكمة في التعامل مع المشكلات التي تهدد المجتمع، فلننظر الى قمة الاثارة والتعاون بينه وبين أخيه الامام الحسين (عليه السلام) بسبب الصلح بينه وبين معاوية، كان الإمام السبط يظهر تفهماً كبيراً لأهمية الحفاظ على وحدة الاسلام والتماسك الداخلي، ورغم مواقف سياسية كانت تتطلب قرارات حاسمة، فقد أظهر الإمام الزكي مرونة وحنكة في الحوار، مما يعكس قدرته على الحفاظ والحرص على الاسرة وأسر المجتمع بأسلوب بعيد عن التصعيد.

٣. الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وتربية الأبناء: كان الإمام الحسين (عليه السلام) نموذجاً في تربية الأبناء على القيم والمبادئ، فقد كان حريصاً على تعليم أبنائه الأخلاق الإسلامية، مستلهماً من القرآن والسنة في توجيههم نحو العدل والتقوى، ورغم الظروف الصعبة التي مرّ بها الإمام الحسين (عليه السلام)، وخاصة في كربلاء، إلا أنه ظل محافظاً على تربية أبنائه، حيث تعلّموا منه شجاعة الموقف وقوة الإرادة في مواجهة الظلم، ما يعكس عمق فهمه لأهمية التربية الأسرية.

٤. الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) والتعليم: كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يهتم بتعليم أسرته والمجتمع، حيث كان يحرص على أن تكون المرأة جزءاً من التوجيهات الإسلامية، سواء في التربية أو في التعامل مع القضايا الأسرية، وخير دليل كانت زوجته فاطمة بنت الامام الحسن ويناديها الصديقة وهذا ما يدل على علو شأنها^{١٧}، وكان يؤكد اهتمامه العميق بالعلاقات الأسرية وكيفية تقويتها على أسس دينية وأخلاقية وهذا ما تبين من خلال رسالة الحقوق.

من خلال هذه النماذج العملية، يظهر كيف أن الأئمة (عليهم السلام) لم يقتصروا على تقديم التوجيهات الدينية فحسب، بل جسّدوا تلك التوجيهات عملياً في حياتهم اليومية، مما يجعل من حياتهم مصدراً غنياً للمؤمنين في كيفية حل المشكلات الأسرية وتعزيز قيم الحب والاحترام بين أفراد الأسرة.

المبحث الثاني

المطلب الأول: مقارنة بين منهجية الإسلام والعلم الحديث في الإرشاد الأسري.

إن منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري يتسم بالشمولية والدقة في تقديم المبادئ التي تضمن بناء أسرة متماسكة ومستقرة تعيش في جو من المحبة والاحترام المتبادل وقد اعتمدوا (عليهم السلام) في توجيهاتهم على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مع الأخذ بعين الاعتبار حاجات الإنسان النفسية والاجتماعية وقد أكدوا على أهمية الأساس العقدي في بناء الأسرة حيث اعتبروا الإيمان بالله وتقوى القلوب عاملاً رئيسياً في استقرار الأسرة وصلاحها.

وهذا ما يظهر جلياً في قول الإمام علي (عليه السلام): "اعلموا أن التقوى... نظام لألفة"^{١٨}، حيث يُبرز ارتباط التقوى بالتماسك الأسري كما اهتموا بتحديد الحقوق والواجبات داخل الأسرة لضمان تحقيق العدل والمساواة بين أفرادها، فقد ركزوا على حقوق الزوجين المتبادلة حيث قال النبي (صلى الله عليه وآله): "خيركم خيركم للنساء"^{١٩}، ليشير إلى أن حسن المعاملة بين الزوجين يشكل القاعدة الأساسية في الإرشاد الأسري.

كذلك أشاروا إلى حقوق الأبناء وأهمية التربية الصالحة من خلال التوجيه والتعليم القائم على المحبة والاحترام، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): "دع ابنك يلعب سبعاً ويؤدب سبعاً..."^{٢٠}، مما يبين مراحل التربية المناسبة لكل عمر كما حثوا على التواصل الإيجابي والحوار البناء بين أفراد الأسرة لتجاوز الخلافات وحل المشكلات بأسلوب حضاري بعيد عن العنف والتجريح، وكانوا يؤكدون على أهمية تقديم القدوة الحسنة داخل الأسرة حيث يشكل الأبوين النموذج الأول الذي يقتدي به الأبناء في سلوكهم وأخلاقهم بالإضافة إلى ذلك ركز أهل البيت (عليهم السلام) على تعزيز أواصر المحبة داخل الأسرة.

من خلال إظهار مشاعر الود والرحمة والتعاون بين جميع أفرادها وهذا يظهر في قول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق حين تحدث عن حق الزوجة وحق الأبناء وضرورة معاملتهم بحسن ورفق كما لم يغفلوا عن التأكيد على أهمية الجانب المادي من خلال الحرص على توفير حياة كريمة للأبناء وضمان احتياجاتهم المادية والمعنوية مجمل القول إن منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري يمثل منظومة متكاملة يمكن من خلالها تحقيق السعادة الأسرية والنجاح في بناء مجتمع مستقر ومتربط.

الأول: تحليل المبادئ المشتركة:

لقد كان للأئمة (عليهم السلام) دور كبير في تقديم حلول عملية وواقعية للمشكلات الأسرية التي قد تعترض الحياة الزوجية، أو علاقة الأفراد داخل الأسرة حيث كان الأئمة يقدمون حلولاً قائمة على الأسس الدينية والأخلاقية والإنسانية التي تضمن التوازن بين حقوق وواجبات الأفراد داخل الأسرة.

وقد عمل الأئمة (عليهم السلام) على معالجة المشكلات الأسرية من خلال توجيه الأفراد إلى التمسك بمبادئ الإسلام الحنيف التي تحت على العدل والمساواة والمودة والرحمة ففي قضية الخلافات الزوجية كان الإمام علي (عليه السلام) يشدد على ضرورة الحوار والتفاهم بين الزوجين لحل النزاعات كما في قوله "إنما النساء شقائق الرجال"^{٢١}، مما يعكس تكافؤ الحقوق والواجبات بين الزوجين وقد كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله)، يوصي بحل المشاكل الأسرية باللجوء إلى الحكمة والصبر قائلاً "ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله له بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه وكان"^{٢٢}، كما كان يقدم حلولاً عملية لمشاكل التربية وتعليم الأطفال فقد أكد على أهمية التربية السليمة للأبناء في مراحل عمرهم المختلفة مبيناً الحقوق والواجبات التي يجب على الوالدين أن يلتزم بها تجاه أولادهم وقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ضرورة الاهتمام بتنشئة الأبناء في بيئة مليئة بالقيم الأخلاقية والإيمانية التي تساهم في تكوين شخصية متوازنة وقادرة على مواجهة مشكلات الحياة بثبات ومنها ما قاله:

لعمرك انني لأحب داراً * تحل بها سكينه والرباب

أحبهما وابدل جل مالي * وليس لعاتب عندي عتاب^{٢٣}

وهذه الكلمات الشعرية اعتزازاً بالعائلة والابناء :

ووعي كذلك فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في "رسالة الحقوق" قدم نصائح عظيمة للمربين تجاه الأبناء، حيث دعا إلى تنشئة صالحة تهتم بكل جوانب حياة الطفل العقلية والروحية والجسدية كما في هذه العبارة متكاملة المعاني: "وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرهم... واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك، ولأوليائك محبين مناصحين ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين"^{٢٤}.

وفي مواجهة مشكلات العنف الأسري كان الأئمة (عليهم السلام) يحرصون على نبذ العنف بكافة أشكاله، والتأكيد على ضرورة التعامل بالحسنى والرحمة مع أفراد الأسرة وكانوا في تعاملاتهم نموذجاً يحتذى به في الرفق واللين، كما في موقف الإمام علي (عليه السلام) مع زوجته فاطمة (عليها السلام) حيث كان يتحلى

بالصبر والرفق في التعامل معها وفي موقفه مع أولاده كان يظهر حباً واهتماماً من خلال المساعدة في تبادل الأدوار تقول الرواية:

(.. كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة (سلام الله عليها) تطحن وتعجن وتخبز..)^{٢٥}.

وهو ما يعد نموذجاً للأباء في كيفية التعامل مع الأبناء بحكمة وود وقد كانت هذه المبادئ الدينية التي أرساها الأئمة (عليهم السلام) تعد بمثابة حلول شاملة للمشكلات الأسرية من خلال تعزيز أواصر المحبة والتفاهم بين أفراد الأسرة وتوجيههم نحو بناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل والعدل والمساواة.

الثاني: دراسة نقاط الالتقاء والاختلاف:

تعد دراسة نقاط الالتقاء والاختلاف بين الأئمة (عليهم السلام) في معالجتهم للقضايا الأسرية والاجتماعية أحد المواضيع الهامة لفهم التنوع الغني في الفكر والتوجيهات التي قدموها في مختلف الأوقات والمواقف. وعلى الرغم من أن الأئمة (عليهم السلام) اتبعوا منهجاً موحداً قائماً على القيم الإسلامية الأصيلة، إلا أن هناك بعض الاختلافات التي يمكن ملاحظتها في أساليبهم وتوجهاتهم حسب الظروف الزمانية والمكانية التي مروا بها، وأيضاً حسب دورهم ومسؤولياتهم في المجتمع ففيما يتعلق بنقاط الالتقاء، نجد أن الأئمة (عليهم السلام) اجتمعوا جميعاً على أهمية تطبيق القيم الأخلاقية الإسلامية في الأسرة، مثل المودة، والرحمة، والعدل، وقد جسدوا هذه القيم في تعاملاتهم مع أسرهم وأتباعهم في مختلف الأوقات.

فالإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) جميعهم أكدوا على أهمية التعاون والتفاهم بين الزوجين كما في قول الإمام علي (عليه السلام) المتقدم انفاً، مما يعكس أهمية التكافؤ بين الزوجين في الحقوق والواجبات.

وكانوا جميعاً يعتبرون أن التربية الصالحة للأبناء يجب أن تتم في جو من الحب والاحترام، وكانوا يربون أبناءهم على تحمل المسؤولية والعمل الجاد، والاهتمام بالقيم الدينية من خلال الصلاة والصوم، وحسن المعاملة مع الآخرين.

فيما يتعلق بنقاط الاختلاف، نجد أن الظروف التاريخية والسياسية قد فرضت على بعض الأئمة (عليهم السلام) أن يكونوا أكثر انشغالاً بقضايا الأمة الكبرى مثل الدفاع عن الدين والمجتمع ضد الظلم والطغيان، وهذا انعكس على أسلوبهم في التعامل مع قضايا الأسرة ففي حين أن الإمام علي (عليه السلام)، كان يركز على البناء الأسري من خلال نصائح خاصة في تربية الأبناء وتنظيم العلاقة الزوجية في بيئة يسودها العدالة

والمساواة، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يواجه تحديات كبيرة جراء الفتن السياسية والاضطهادات، مما جعله يقدم نموذجاً في التضحية والصبر في مواجهة الفساد السياسي، وكان تركيزه أكثر على القيم الثابتة في الدفاع عن الحق وتقديم التضحيات الكبيرة للإمام الحسين (عليه السلام) مثلاً لم يكن في موقف يسمح له بتقديم نصائح تربوية تفصيلية لأسرته كما كان الحال مع الإمام علي (عليه السلام) وإنما كان يركز على تثبيت القيم الإيمانية في نفوسهم لمواجهة الفتن والظروف القاسية التي ستواجههم.

أما الإمام زين العابدين (عليه السلام) فبسبب الظروف التي مر بها من سجون واضطهادات، اتخذ نهجاً أكثر روحانية في إرشاد الأمة وفي توجيه أسرته عبر الدعاء والعبادة والتعليم، حيث كانت الصحيفة السجادية تمثل أداة للتوجيه الروحي وليس فقط الاجتماعي أو الأسري، وهكذا نجد أن الأئمة (عليهم السلام) رغم الاتفاق على الأسس الكبرى للقيم الإسلامية في الأسرة والمجتمع، إلا أن كل إمام كان يتبع نهجاً يتناسب مع الظروف المحيطة به، ما يجعل دراسة هذه النقاط من الالتقاء والاختلاف تكشف عن عمق تفكير الأئمة (عليهم السلام) ومرونتهم في التعامل مع القضايا الأسرية وفقاً لما يقتضيه الواقع في كل مرحلة زمنية.

الأسرة بين التفكك الغربي والتماسك الإسلامي:

إن الأسرة في الغرب تعيش في عصرنا الحالي حالة من التفكك والانحيار التي يصعب تجاوزها، حيث تشير الإحصاءات إلى أن معدلات الزواج في بعض الدول الغربية، مثل فرنسا، لا تتجاوز سبعة أو ثمانية في الألف، وهو رقم يعكس بشكل واضح حجم الانحسار الذي تشهده هذه المؤسسة الاجتماعية المهمة، وبالنظر إلى حالات الطلاق، فإن المشهد يبدو أكثر سوداوية، حيث وصلت القضايا المتعلقة بفك الروابط الزوجية إلى مستويات قياسية، مثلما حدث في مدينة "سين"، حيث تم فسخ ٢٩٤ زواجا في يوم واحد فقط^{٢٦}.

هذه الأرقام تثير تساؤلات ملحة: لماذا ينخفض معدل الزواج بهذا الشكل؟ ولماذا ترتفع نسب الطلاق إلى هذا الحد؟

الإجابة تكمن في الأنظمة المادية التي تحكم هذه المجتمعات، حيث تخلت عن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية الأساسية التي كانت تحمي الأسرة وتمنحها الاستقرار إن هذه الأنظمة، التي تستند إلى قيم مادية بحتة، لم تستطع أن توفر للأسرة الإطار المتين الذي يحميها من الانحيار، فهي قاصرة عن تلبية متطلبات الأسرة بشكل شامل، سواء فيما يتعلق بالعلاقات بين أفراد العائلة أو بما يخص الزوجين على وجه الخصوص.

وبالتالي، يصبح من الطبيعي أن يعزف الرجال والنساء عن الزواج، ما دام الزواج في هذه المجتمعات قد أصبح مرادفًا للمآسي والتعاسة والفوضى، نتيجة الانحرافات السلوكية والاجتماعية التي أضعفت النظام العائلي الغربي وأفقدته تماسكه.

أما الإسلام، فقد قدم نموذجًا مغايرًا تمامًا، حيث وضع الأسس المتينة التي تحمي الأسرة من التفكك والانحيار. فالإسلام لا يترك الأسرة تسير وفق الأهواء والعواطف التي تتغير باستمرار، بل رسم لها طريقًا واضحًا ومحددًا في كل شؤونها، هذا الطريق يهدف إلى الحفاظ على التوازن داخل الأسرة، ويوثق العلاقات بين أفرادها على أساس الحب، والعطف، والحنان فالتعاليم الإسلامية لا تقتصر على تحديد الحقوق والواجبات، بل تمتد لتشمل بناء منظومة أخلاقية واجتماعية تضمن للأسرة تماسكها واستقرارها.

إن الإسلام ينظر إلى الأسرة باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ولذلك حرص على تعزيز الروابط بين أفرادها بكل السبل الممكنة. فالزوجان في الإسلام يتشاركان حياة قائمة على المودة والرحمة، كما ورد في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"^{٢٧}، هذه القيم تؤسس لعلاقة قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم العميق، وهو ما يفتقده النظام العائلي في المجتمعات الغربية التي تسيطر عليها الفردية والمادية.

والإسلام أيضًا يعطي أهمية كبيرة لتربية الأبناء في إطار الأسرة المتماسكة، حيث يركز على غرس القيم الأخلاقية والدينية في نفوسهم منذ الصغر، هذه التربية تجعل الأبناء أكثر ارتباطًا بأسرتهم ومجتمعهم، وتساعدهم على مواجهة التحديات التي قد تعترضهم في حياتهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن الإسلام يحث على رعاية الوالدين واحترامهما، مما يعزز من تماسك الأسرة عبر الأجيال.

وفي المقابل، فإن النظام الغربي الذي يروج للحرية الفردية بشكل مفرط أدى إلى تآكل القيم الأسرية وإضعاف الروابط بين أفراد الأسرة، فالاستقلالية المفرطة التي يشجعها هذا النظام تجعل كل فرد يركز على تحقيق رغباته الشخصية، حتى لو كان ذلك على حساب الآخرين، هذه النزعة الفردية هي أحد الأسباب الرئيسية وراء ارتفاع معدلات الطلاق وتفكك الأسرة في الغرب.

ويمكن القول إن الإسلام قد نجح في تقديم نموذج متكامل للأسرة من خلال مائدة محمد وآل محمد فقد ارسوا قواعد الاخلاق والقيم والعادات النبيلة، وتم الاعتماد على التوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الحرية والمسؤولية، هذا النموذج هو ما يفتقده النظام الغربي، الذي أفرط في التركيز على الجوانب المادية وأغفل

الجوانب الروحية والأخلاقية ومن هنا، تظهر الحاجة الملحة للعودة إلى القيم الإسلامية التي أثبتت عبر التاريخ قدرتها على بناء أسرة قوية ومستقرة، تشكل الأساس لمجتمع متماسك وقوي.

المطلب الثاني: "العلم الحديث بحاجة إلى توجيهات أهل البيت (عليهم السلام) في معالجة المشاكل الأسرية" إن العلم الحديث بحاجة إلى توجيهات أهل البيت عليهم السلام في تجاربهم ومشاكلهم الأسرية نظرًا لما يمتلكونه من رؤية شاملة وعميقة حول كيفية بناء أسرة مستقرة ومتماسكة، في الوقت الذي يعاني فيه الغرب من تفكك أسري وارتفاع معدلات الطلاق بسبب التوجهات المادية والفردية.

يقدم أهل البيت عليهم السلام نموذجًا متكاملًا يوازن بين الحقوق والواجبات ويعتمد على التفاهم المتبادل والمودة في الغرب، حيث تزداد الضغوط النفسية والاجتماعية على الأسرة نتيجة للأنماط الفردية والمادية، نرى أن العلاقات الأسرية تتعرض لمشاكل عدة مثل: الإدمان على التكنولوجيا، التوترات المالية، وتضارب الأدوار داخل الأسرة^{٢٨}.

وفي المقابل، تقدم تجربة الإمام علي عليه السلام مع زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام نموذجًا فريدًا من التعاون والاحترام المتبادل داخل المنزل، حيث كان يُظهر توازنًا في الأدوار بين العمل داخل المنزل والمشاركة العاطفية. كما أن الإمام الحسين عليه السلام قدم دروسًا عظيمة في التضحية من أجل عائلته في معركة كربلاء، وهو درس حيوي يمكن أن يساعد في معالجة مشاكل العلاقات الأسرية في الغرب، حيث تتزايد حالات الأنانية والعزلة العاطفية.

في ظل التطور العلمي الذي يعنى بالصحة النفسية، نجد أن مبادئ أهل البيت عليهم السلام تركز على أهمية التواصل العاطفي وحل النزاعات بأسلوب هادئ يعتمد على الحوار والتفاهم، ما يتماشى مع الأسس العلمية التي تبرز في علم النفس العلاجي والاجتماعي اليوم. بالتالي، نجد أن الحلول التي قدمها أهل البيت عليهم السلام للمشاكل الأسرية لا تقتصر على الجانب الديني بل تمثل حلولًا علمية قادرة على التعامل مع التحديات الحديثة في المجتمعات الغربية.

أهل البيت (عليهم السلام) يقدمون لنا الإرشادات التي تهدينا إلى الطريق الصحيح، فيجب علينا الاستقامة على هذا الطريق، لأن التقدم الحقيقي للبشرية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التزامها بالمبادئ السليمة. لكن في المقابل، نجد أن دعاة "التطور" و"العلمية" الذين يروجون لأيديولوجيات مثل الجندر والإلحاد، هم في واقع الأمر يقودون البشر إلى الفساد والانهيار، حيث نرى آثار تلك الأفكار في مجتمعاتهم من خلال تفشي

الظواهر السلبية مثل الانتحار، التدهور الأخلاقي، والضياع الفكري. حتى شعوبهم نفسها بدأت تعاني من نتائج هذه الأفكار المتطرفة.

إن المدخلات تؤدي إلى مخرجات حاسمة، وهذه الرسالة تقدم لنا مدخلات أساسية، وأهم هذه المدخلات هي: أولاً: قوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"^{٢٩}، مما يعكس الحاجة الملحة للرجوع إلى منابع المعرفة الأصيلة، وهو توجيه يشمل جميع البشر في مختلف مراحل حياتهم.

ثانياً: ترسيخ المنهج العقائدي في الإنسان، فالاستقامة على العقيدة السليمة هي أساس الحياة المتوازنة. فكلما انحرف الإنسان عن معتقداته الحق، بدأ يعاني من الاضطراب النفسي والروحي، مما يؤدي به إلى الشعور بالضياع والطغيان، لذلك نجد أن الذين ينحرفون عقائدياً يعيشون حالة من القلق والتوتر الشديد، حيث يفقدون القدرة على البناء النفسي السليم الذي يعينهم على مواجهة تحديات الحياة بثبات.

وقد أوصى الإمام الصادق (عليه السلام) في رسالته بالعديد من التوجيهات التي تعزز بناء النفس، مثل قوله: "فاسألوا الله ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتزهد عما تنزه عنه الصالحون قبلكم"، وهذه التوجيهات تعمل على تقوية النفس وتساعد على استقامة الفرد في الحياة، مما ينعكس إيجابياً على المجتمع بشكل عام، ويرسخ المنهج العقائدي القوي الذي يصون الإنسان من الانحرافات الفكرية والأخلاقية.

الخاتمة:

إن دراسة "الإرشاد الأسري في القرآن الكريم وفكر أهل البيت (عليهم السلام)" تبرز ضرورة العودة إلى المنهج النبوي والإمامي كأصوب الحلول لمشكلات الأسرة المعاصرة والفكر الإسلامي، الذي أرسى دعائمه القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام)، يحمل في طياته مبادئ تعزز من بناء أسرة متماسكة قائمة على المودة، الرحمة، والاحترام، وهي قيم لا غنى عنها لتحقيق الاستقرار النفسي والعاطفي لجميع أفراد الأسرة. ومع تقدم العلم الحديث، أصبح من الممكن دمج هذه المبادئ الإسلامية مع النظريات والأساليب الحديثة في علم النفس والاجتماع، مما يتيح لنا نموذجاً إرشادياً شاملاً قادراً على تلبية احتياجات الأسر في العصر الحالي.

إن التأكيد على أهمية التواصل الفعال، وتحديد الحقوق والواجبات بين الزوجين، والاهتمام بالتربية الروحية والنفسية للأبناء، يشكل الأساس الذي يُمكن من خلاله معالجة الكثير من المشكلات الأسرية التي نواجهها اليوم إضافة إلى ذلك، فإن استخدام الأدوات والتقنيات الحديثة في تقديم الاستشارات والمساعدات الأسرية يعزز من فاعلية هذا النموذج ويجعله أكثر قدرة على الوصول إلى الأفراد في مختلف الأوقات والمناطق.

من خلال إحياء منهجية الأئمة (عليهم السلام) في الإرشاد الأسري، يتسنى للمجتمعات الإسلامية تقديم حلول مبتكرة ومستدامة للمشكلات الأسرية المعاصرة، مما يعيد بناء الأسرة الإسلامية على أسس من التعاون والتفاهم والرحمة، وبالتالي تعزيز استقرار المجتمعات ورفاهيتها.

النتائج :

١. "لم نجد تعريفاً ثابتاً ومتفقاً عليه في الأبحاث والمؤلفات، ولكن جميع التعريفات تتقارب في أهدافها وتدور حول مفهوم الأسرة، لذا قدمنا تعريفاً يتقارب في معناه اللغوي والاصطلاحي".
٢. "ركز القرآن الكريم والأحاديث النبوية على العديد من الحلول الإنسانية والأسرة، وأكدت على أهمية ديمومة المودة، التي تشمل: الحقوق، الأمانة، والتعاون، مع التأكيد على الحاجة إلى التحمل والصبر بدلاً من التهرب".
٣. "إن الموروث الروائي لأهل البيت (عليهم السلام) يحتوي على الحلول الكبرى لكل مشكلة أو نزاع، فقط إذا تم التوجه نحو قراءة مواقف كل إمام معصوم (عليه السلام)، حيث يقدم كل نموذج من الأئمة (عليهم السلام) معالجات تقوق العقول، لأنها تطبيقات عملية من القرآن الكريم".
٤. "إن نقاط الالتقاء والاختلاف في منهجية أهل البيت (عليهم السلام) إذا تم دراستها، ستكون كفيلة بتجديد دماء المجتمعات، وبالأخص الأسر، حيث تقدم حلولاً فعّالة ومتجددة تتكيف مع تغيرات الزمن".
٥. "إن تفكك الأسرة في الغرب يعود إلى غياب الأسس الدينية والأخلاقية التي تحفظ استقرارها، وهو ما يترجم إلى ضعف الروابط بين أفراد الأسرة. هذا الوضع ناتج عن أن المجتمعات الغربية فقدت الأصالة الإسلامية وتخلت عن مائدة أهل البيت (عليهم السلام)، التي توفر منهجاً متكاملًا قائمًا على الرحمة، المودة، والتكامل العائلي. في غياب هذه المبادئ، أصبحت العلاقات الأسرية عرضة للأهواء الشخصية والمادية التي تسهم في انهيار الأسرة وتفككها".

المصادر :

القرآن الكريم

١. أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (ع): ١٧٢، تحقيق تعليق: حسين الغفاري.
٢. الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجادية: ١٢٠، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دفتر نشر الهادي، الطبعة: الأولى.
٣. الحاكم النيسابوري، المستدرک: ١٧٣/٤، تحقيق إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية): ١١٦/١٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق تحقيق وتصحيح وتذييل: الشيخ محمد الرزوي / تعليق: الشيخ أبي الحسن الشعراني.
٥. الخطابي البستي، معالم السنن: ٧٩/١، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
٦. الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٦٢٢/٢، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
٧. عبد الواحد الأمدي التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٥، سنة الطبع: ١٣٦٦ ش، الناشر: دفتر تبليغات - إيران ؛ قم، تحقيق محقق / مصحح: دريأتي، مصطفى، الطبعة: الأولى.
٨. عبد الواحد الأمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٢٥، سنة الطبع: ١٤١٠ ق، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - قم، تحقيق محقق / مصحح: رجائي، سيد مهدي، الطبعة: الثانية.
٩. الكليني، الكافي: ٨٦/٥، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة.
١٠. الكليني، الكافي: ٤٦/٦، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة.
١١. محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٦٢٩/١، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق تحقيق وتخريج: حسن الأمين.
١٢. موقع أكاديمية الشرق الأوسط للتدريب والتطوير.
١٣. موقع ايلاف مقال: (الغرب والسقوط الأخلاقي)، للكاتب: رمضان جريدي العنزي، الأحد ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٢.
١٤. موقع يورو نيوز: مقال بعنوان: حالات الطلاق تسجل معدلات قياسية في دول الاتحاد الأوروبي.. تعرّف عليها.
١٥. مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي: ٢٢/٧، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى.

الهوامش:

- ١ - الروم: ٢١.
- ٢ - التحريم: ٦.
- ٣ النساء: ١.
- ٤ - الإسراء: ٢٩.
- ٥ - موقع اكاديمية الشرق الأوسط للتدريب والتطوير.
- ٦ - الروم: ٢١.
- ٧ النساء: ١٩.
- ٨ - الاسراء: ٢٣.
- ٩ - التحريم: ٦.
- ١٠ - يوسف: ٩٢.
- ١١ - النساء: ١.
- ١٢ - النساء: ٣٥.
- ١٣ - الاسراء: ٢٩.
- ١٤ - عبد الواحد الأمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٢٥، سنة الطبع: ١٤١٠ ق، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - قم، تحقيق محقق / مصحح: رجائي، سيد مهدي، الطبعة: الثانية.
- ١٥ - الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٦٢٢/٢، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
- ١٦ - عبد الواحد الأمدي التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٥، سنة الطبع: ١٣٦٦ ش، الناشر: دفتر تبليغات - إيران ؛ قم، تحقيق محقق / مصحح: درابتي، مصطفى، الطبعة: الأولى.
- ١٧ - السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٦٢٩/١، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق تحقيق وتخريج: حسن الأمين.
- ١٨ - مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي: ٢٢/٧، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى.
- ١٩ - الحاكم النيسابوري، المستدرک: ١٧٣/٤، تحقيق إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- ٢٠ - الشيخ الكليني، الكافي: ٤٦/٦، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة.

- ٢١ - الخطابي البستي، معالم السنن: ٧٩/١، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- ٢٢ - الحر العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية): ١١٦/١٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق تحقيق وتصحيح وتذييل: الشيخ محمد الرازي / تعليق: الشيخ أبي الحسن الشعراني.
- ٢٣ - أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (ع): ١٧٢، تحقيق تعليق: حسين الغفاري.
- ٢٤ - الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجادية: ١٢٠، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دفتر نشر الهادي، الطبعة: الأولى.
- ٢٥ - الشيخ الكليني، الكافي: ٨٦/٥، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة.
- ٢٦ - موقع يورو نيوز: مقال بعنوان: حالات الطلاق تسجل معدلات قياسية في دول الاتحاد الأوروبي.. تعرّف عليها.
- ٢٧ - الروم: ٢١.
- ٢٨ - موقع ايلاف مقال: (الغرب والسقوط الأخلاقي)، للكاتب: رمضان جريدي العنزي، الأحد ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٢.
- ٢٩ - النحل: ٤٣.